المستهل

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأصلي وأسلم على سيد المرسلين ، وقدوة الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد ،،

فلا تزال الحركات الإسلامية من حين سقوط الخلافة العثمانية، تعيش فترة صراعية مع المستعمر أو وكلائه في العالم الإسلامي ، وتجاهد في تأسيس هُويتها، وإيجاد كيان قائم ينبثق من المد الشعبي الإسلامي ، الذي لايزال يراهن على بقائه وخيريته. . ومرحلة الصراع تلك جارية مابين مد وجزر ، وكر وفر ، ويتعاظم ذلك الحراك حسب المعطيات التاريخية والثقافية المباشرة، ولكن الوضع إزاداد سوءاً بعد أحداث الحادث عشر من سبتمبر ، إذ شنت القوى الاستعمارية بالوجه الجديد (**حرباً كونية)** على الإسلام واتخذت شعاراً له (**الحرب على الإرهاب**) ولم تحدد إلى هذه اللحظة معنى الإرهاب المقصود ! وهذا بحد ذاته هزيمة فكرية وحضارية ، وتكشف عن خفايا نفسية قاتلة تجاه المسلمين وقضاياهم ، وكل ماهو إسلامي !! لأن المصطلي بنار هذه الحرب هم المسلمون ، في فلسطين وأفغانستان والعراق ، وتدخل في شئون بعض الأقطار، وتكريس لحالة الصراع في أقطار أخرى ، كالصومال والسودان ، والالتفاف على مناهج الإعلام والتعليم في أكثر البلدان العربية والإسلامية ... بالحجة السالفة الذكر ، التي تكشف عوار الغرب الصليبي ومدى حَنقهم المستديم على الإسلام وأهله كما قال تعالى :

(ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) الآية (118) ال عمران

ومهما قدم المسلمون من تنازلات وتسويات، فإن الرضا الكامل لن يتحقق إلا بالنكوص والارتداد كما قال تعالى :

(وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ الاية) (120) البقرة..

ويغذي هذا المناخ القائم ، ضعف النظام العربي ، وعجزه عن المجاراة، واستعماله كثيرا في قمع الحركات الاسلامية، بحجة مكافحة الإرهاب والقوى الإسلامية المتطرفة . فباتت الحركة الإسلامية تواجه أخطاراً عدة ، وتُرصد كافة مشاريعها وبرامجها ، مع مايكون في بعضها من اندفاع أو قلة فقه ، وعدم الثقة بالعلماء الحكماء وتقصير في وعي المنهج النبوي في الإصلاح والتغيير . ولذا أدعو كل العاملين في الحركات الإسلامية أن يعوا المنهاج النبوي في الدعوة والتغيير ، وأن يعودوا إلى سيرته صلى الله عليه وسلم ليستلهموا منها خطوات المنهج ، ومعالم الطريق ، ووقود التغيير ، ليسير الإصلاح على بصيرة ، ولتتحقق الأهداف المرجوة ، لاسيما بعد مزجها بالصدق والحيوية .
وكباحث في السيرة النبوية ، ومهتم بالشأن الدعوي الإصلاحي والتغييري فإني تأملت جوانب سيرته عليه الصلاة والسلام ، وطالعت عشرات المراجع المختلفة في السيرة والسنة ، ودرسها العبد الفقير في الجامعة والمسجد .
فقد خرجت بهذه النتائج ، التي هي مقدمات لكل عمل إصلاحي تغييري ، يرتجى إعادة مجد الإسلام، وترسيخ البناء الأممي المسلوب .
ووعي السيرة النبوية الإصلاحية البنائية، في هذه المرحلة من حياة الأمة، ضروري جداً لتشابه الغربة والبؤس القديم بالحديث ، ولأن المنهج النبوي منارة اقتداء ، وركيزة تأسيس وانطلاق كما قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الاية (21) الاحزاب ...
وقوله تعالى : (قلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ)
الآية (54)
وقوله تعالى : (مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) الآية (80) النساء
وغيرها من النصوص التي تدل دلالات صريحات على وجوب الاتباع ،وقفو المثال والاستلهام الوعظي والتاريخي والفقهي ، من تلك السيرة البهيجة العظيمة ، وقد قٌيدت ذهنياً في جلسة صباحية شارفت على أربع الساعات ، سائلا المولى تبارك وتعالى ، أن يمن علينا بحسن الفهم، وصدق الاتباع ، وأن يلهم العاملين

في الدعوة الإسلامية ، ويبارك جهودهم ومساعيهم ، ويجعل مايقدمون حجة لهم يوم القيامة إنه جواد كريم .

الأربعاء 8/4/1431 هـ
23/3/2010 م

(1) الدعوة :
وهي عبارة عن عرض للفكرة التي يحملها الداعية أو المصلح ، وإطلاع الناس عليها ، فرسولنا صلى الله عليه وسلم اختصر فكرته في كلمة **التوحيد (قولوا لا آله الله تفلحوا)** وعرض للناس حقيقة الإسلام ، وأنه دين الله الحق ، واستخدم في ذلك الحجة والبرهان ، والعقل والواقع ، مؤكداً عجز هذه الأوثان وانحطاطها عن أن تخلق أو تغير شيئا ، فضلاً عن إنه تقصد بالعبادة والتوجه !!
وغالب (**القرآن المكي)** ينصب في هذا الاتجاه ، ترسيخ العقيدة، وتقبيح شأن المشركين في اتخاذهم أولياء من دون الله ، وأنهم سيكفرون بهم يوم القيامة .
وفي خضم البيان النبوي للأساس الدعوي ، وهو توحيد الله بالعبادة ، لم يخلط صلى الله عليه وسلم ذلك المسار بشىء من الشرائع ، بل ركّز التركز الكامل ، وصرف جهده بالكامل إلى هذه القضية مدة ثلاث عشر سنة ، مما يعني البدء بالأساسيات والأصول عند

التقديم لكل عمل دعوي وتغييري ، وما دونه يسهل إذا صح الأصل وحظي بالوفاق والقبول .
وقد كان من الحكمة التشريعية تأخير الأحكام والشرائع إلى (**الوضع المدني**) الجديد ، حيث تمت الهجرة ، وحصلت النواة ، وقامت الدولة الحديثة .
لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلي قضايا التوحيد ، ويكشف سر دعوته من الأيام الأولى للدعوة الجهرية ، وتسامع الناس به ، وسيأتي معنا في المقدمات التالية ، بعض الوسائل التي استخدمها في تسهيل شيوع الفكرة الدعوية وتضخيمها، بحيث تصبح حديث كل الألسنة في منطقة مكة وما جاورها . المهم أنه بدأ بالدعوة على الأخ والزوجة والصديق والقريب والحميم والقبيل إلى أن فقه الناس المراد النبوي من ذلك كله .

(2) المناصحة :
وهي التي مورست بطريقة مخصوصة ، وهادئة على أفراد قريبين من الداعي ، أو سنحت الفرصة لمخاطبتهم فردياً دون عموم الناس ، كما صنع صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضي الله عنها وأبي بكر رضي الله عنه وأناس آخرين وفائدة هذا الأسلوب أنه (**وسيلة تأثيرية)** في المدعو ، يشعره بمزيد من الاهتمام والشأو ويجعله أكثر تفكيراً أو قبولاً من الخطاب الجماعي في ملأ من الناس .
وفيها من إقامة الحجة والتبيين المباشر، والدنو الجاذب ما لايخفى ، فهي مقدمة للتأثير بالاحتواء ، وتصنع ما لاتصنعه الخطب الجماعية والقنوات المليونية ، ويحسن استخدامها مع الأقربين والملازمين ، وذوي التأثير الاجتماعي والقيادي والمالي ممن يُرجى فيهم قبول المطروح والتمسك به ، ودفعه الى الأمام خطواتٍ وخطوات .
والمناصحة الخاصة ، في غالب أحوالها تكون موشاة بنقوش الحب والود والإخلاص وتكتنفها آصرة الرحمة والإشفاق ، وهذا كان شيئاً ظاهراً وملموساً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس مع خواصه! فحسب بل مع سائر الناس ، كما قال تعالى :

(فلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً)الآية (6) الكهف

(3) السرية :

وهي تقدمة ضرورية لكل مجتمع يرفض الطروحات الجديدة، التي تناقض أفكاره وثقافته كمجتمع وثني في مكة ، وبلا ريب أنه لن يقبل بدين جديد ، ينزع القدسية عن أصنامه التليدة ، وأوثانه العتيقة من موروث الآباء والأجداد **(بلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) الزخرف**

فلابد حينئذ من الاستسرار بالدعوة الجديدة ، والكلمة المغايرة للإلف العام ، لتؤسس لها نواة ، وتجمع لها أفرادا ، وتقنع بها فئاما من الخلف ، ولتكون في مأمن عن البطش المباشر بها ، اذا ماعُلمت وكُشفت للناس!! وربما صدقت فيها هنا الحكمة النبوية المتوارثة عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم

(استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان)

وفي أزمنة الحكم الشيوعي للولايات الإسلامية، كانت السرية مبدأ خالصاً ، وأصيلاً عند المسلمين هناك إلى أن تم لهم الفرج ـ والأنظمة القمعية الشمولية في هذا العصر ليست ببعيد عن مطاردة الإسلاميين وإلحاق كل التهم المزيفة بهم.

فهي وسيلة يفرضها الواقع المرير لأوضاع الإسلام ، وحتى الانقلابات العسكرية المقامة في أكثر البلدان ، ومنها العربية ،سبقتها تنظيمات سرية ، ومسالك خفية إلى أن بلغت أوجها ، وحققت مرادها.

فليس ذلك بحكر على زمر الشر ، في ظل قمع سائد على جميع الطوائف المجتمعية ، والله المستعان .

(4) التنظيم :

وهو عبارة عن المحضن التربوي والتثقيفي والتأليفي بين أفراد الدعوة والمقتنعين بها ، وهذا قد صنعه صلى الله عليه وسلم لما اتخذ دار (الأرقم بن أبي الأرقم) نقطة اجتماع أولي للتربية والإعداد ، حيث يُقرأ القرآن ، ويتلاقى الأتباع ، ويتم التعارف، وتُتلقى التوجيهات .

وكان ذلك إبان الدعوة السرية التي استمرت قرابة ثلاث سنين كما ذكر ابن إسحاق في سيرته ، وعنصر الحكمة والتوخي والحذر، كان بارزا في الاختيار بحيث لايلفت الانتباه ، ولا يثير القرشيين ضده ، والفكر التنظيمي يغذيه القمع السائد والأثر

الحميد للعمل المؤسسي ، لأن مثل تلك الجماعة في المدرسة الأرقمية بلا ريب ، إنها ستنطلق بدافع الوحدة التنظيمية ، ذات البعد المؤسسي والمنظم لكل خطواتها وبرامجها ، فليست ببدع في المجتمعات والثقافات ، بل هي من بدهيات العمل الفردي ، حينما يتحول إلى فكرة مجتمعية ، **وقد قال : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) الآية (110) ال عمران .**
وقال : َ(وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى) الاية 2 المائدة
وقال : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) الآية 104 ال عمران
وقال : (أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ) الاية 22 المجادلة .
وقال : (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر)
وهذا التنظيم سيتيح مساحة هائلة للتخطيط والإعداد ، والرصد والمتابعة لكل تحركات النواة الدعوية ومشكلاتها ، وسيقوي من عضد الأعضاء وساعدهم ، ويمكن لفكرتهم ودعوتهم ، إلى أن يتم الفتح ، ويحصل الانتشار والله عل كل شىء قدير.

(5) الروحانية

لايمكن لأحد أن يشك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان **(قمراً روحانياً)** يشع منائر الهدى ، والحكمة ، وقد أدبه ربه بأحسن الخصال وأزكاها **(وإنك لعلى خلق عظيم) وقال له في الفترة المكية (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (2) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً)**
وعلمه مماعلمه (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)
وكان قبل الوحي يتحنث في غار حراء، ويتفكر في ملكوت السموات والأرض ، وعرفه قومه بحسن الخلق ، وصدق الحديث ، وطيب الجوار ، ولم يستطيعوا اختراق روحانيته المعروفة لديهم ، وكل ماقالوه ، يدركون كذبه وفساده ، وأنه أطهر الخلق فيهم ، وأزكاهم نفسا وشمائلا.

ومثل هذه الروحانية سُلّم يعرج عليه الداعية ، إلى أعالي أفكفارهم وخصوصياتهم وتكون بمثابة (**السحر النافذ**) إلى نفوسهم ، فلا يجدون مناصاً من الانقياد والخضوع فضلاً عن الإصغاء المبدئي والشوق الأولي .

وكل مصلح إسلامي يحتاج هذه النفس الروحانية ليسهل جريانه في بحر الحياة ولتكون زادا لكل معوقات الطريق ، وملهماً له من الله بالتوفيق والتأييد ، فالله مع عباده الداعين إليه بالتوفيق والتسديد وحسن العاقبة ، كما قال **(والله مع الصابرين)**

وقال : (اِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) النحل

وقال (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاًّ) الطلاق . ولما انطلق موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون الطاغية **قال لهما تعالى : (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي**) سورة طه

فسرت بأن لا تقصرا في ذكر الله والاعتماد والتوكل عليه .

وهي بلا شك دفقات معنوية وتأسيسية للداعية الى الله ، وتعزز من صدقه ووضوح فكرته ، وقد كان رسول الله يذكر الله على كل أحيانه ، ويقوم الليل وهو في مكة ، وانتقل هذا السلوك إلى صحابته ، فكانوا أهل ذكر وتأله وعباده.

<u>(6) الجماهيرية</u> :

مرحلة أخرى يحتاجها الداعية لإشاعة فكرته ، وإذاعة الأصل الذي يتبناه، وهذا مدروك في سيرته صلى لله عليه وسلم ، من حين ما قام بجمع عشيرته الأقربين ، كنقطة جماهيرية أولية استجابةً لقول الله تعالى :

(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) الشعراء

حيث جمع قومه عدة مرات ، وأنذرهم وشرح لهم دعوته ، ليكونوا حصنا له ولدينه الحق الجديد ، وليحظوا بشرف المتابعة والانقياد للأمر الإلهي.

وتكشف أحداث السيرة هنا أنهم كادوا يتعاطفون معه ، لولا معارضة عمه أبي لهب ، لكنهم وعوا الرسالة المقصودة ، ولذلك حموه أشد الحماية ، ودخلوا معه في حصار الشعب المشهور ثلاث سنين !!

وكان لعمه أبي طالب الجهد الأكبر في حمايته ، والنصح له إلى أن وافته المنية ، وحينما أتى الأمر الإلهي بالصدع العلني بالدعوة **(فاصدع بما تؤمر)** سورة الحجر
جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا ، وقال كلماته المشهورة
(**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) ورد عليه عمه أبو لهب بالرد القبيح المستشنع ، وكان ذلك نوع من الجماهيرية المطلوبة لشيوع الفكرة وتمريرها في الناس .
وكان صلى الله عليه وسلم بعد الاستعلاء بالدعوة ، يعرض نفسه على قبائل العرب يلتمس منهم النصرة والمؤازرة ، وفي ذلك من الحرص على الأتباع والتجمهر وكسب الأنصار ما لايخفى على كل ذي لب .
ولهذا العالم الشرعي في (**درسه العلمي**) ينبغي له أن يجذِّر للبعد الاجتماعي في دروسه ومناشطه ، وليجعل من ذلك الدرس المتواضع عملاً مؤسسياً دعوياً يبتغي به وجه الله ، وحماية دينه ، وتأسيس القاعدة العلمية الصلبة في المجتمع الذي يقطنه .
(7) الربانية :
وهذا أعظم سلاح يملكه الدعاة والمصلحون الإسلاميون ، أنَّ بحوزتهم وثيقة ربانية ووحياً قرآنياً باهرا ً، يخطف قلوب العباد ، وتتهاوى أمامه حججهم وترهاتهم كما قال تعالى :
فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً) الجن
وقال : (الـر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)
(إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) الطارق
وقال : (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) الاسراء.
في آيات كثيرة تكشف عظمة هذا الكتاب ، وشرفه وجاذبيته ، وتحديه لسائر الخلق.
فكتاب بهذا الوصف ، جدير بالدعاة استلهامه والاستعصام به على كل الأحوال وليوقنوا أنه مفتاح التغيير والتأثير ، وأنه كافٍ في إحداث التحولات المجتمعية والاستراتيجية إذا حُمل بصدق وقوة ، واتُخذ نبراساً ومنارة للدعاة السائرين .

قال تعالى : (**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة .**

ووعي الداعية لهذا المعنى ، يجعله يشعر بعميق الاعتزاز والاستيثاق من نصر الله تعالى ، لأنه يسير بوحي رباني ، يتحدى الله به الخلق ، وجعل فيه إشعاعات التأثير والجاذبية ، بحيث لايمكن لكل مكذب ومعاند أن يحاربه ، بل إن مشركي مكة لما سمعوه ، خُطفت أبصارهم وخضعت نفوسهم ، وسجدوا لله بغير تمنع كما صح بذلك الحديث **، عندما تــلا رسول الله سورة النجم (سجد المشركون والجن والإنس) كما في الصحيحين** .

ولا يزال التحدي قائما بهذا القرآن العجيب إلى يوم القيامة ، والدعاة بحاجة ماسة إلى تلاوته وتفسيره للناس ، بطريقة عصرية ، لأن تأثيره نافذ ،وإعجازه آسر، ولايكاد يسمعه أحد إلا انقاد له، برهاناً من الله وحجة على خلقه .

(8) المنطقية :

الخطاب النبوي كان خطاباً منطقياً في قضيته الأولى وهي التوحيد ، وفي كونه يعزف على نقض العقيدة الوثنية عقلاً وحساً ، فالله خالق الخلق ورازقهم ، ومن ثم فهو المستحق بالعبادة وهم يعترفون بذلك **(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ من خلقهم لَيَقُولُنَّ الله)**

قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)

ولم تأت الشريعة الإسلامية بمحالات العقول وإنما جاءت بمحارات العقول كما قال ابن تيمية وغيره .

وقد قال بعض الإصلاحيين المعاصرين إن (**القرآن الكريم معجزة عقلية**) وهذا بما قررناه صحيح مستقيم ، وفي القرآن من الحجج العقلية، والبراهين التفكيرية مايجلي جوانب العقيدة والسلوك والاجتماع في حياة الإنسان .

خذ علــى سبيل المثال كثرة مواد الفكر والعقل والتأمــل في القرآن (يعقلون) (يتفكرون) (المتوكلون) (يتذكرون) (أولي الألباب) (الأبصار) وتنصيصه على مركز الفكر الرئيسي وهو (اللب والفؤاد) (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) وقوله تعالى (لآيات لأولي الألباب)

وفي قوله تعالى : في سورة فاطر (تدريب عقلي عجيب)
(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)

قال ابو الفرج ابن الجوزي: ومعنى الكلام : لِيتفكرِ الإِنسانُ منكم وحده ، ولْيَخْلُ بغيره ، ولْيُناظِر ، ولْيَسْتَشِر ، فَيَسْتَدِلَّ بالمصنوعات على صانعها ، ويُصدِّق الرسول على اتبّاعه ، ولْيَقُل الرجلُ لصاحبه : هَلُمَّ فلْنَتَصادق هل رأينا بهذا الرجل جِنَّة قَطّ ، أو جرَّبْنا عليه كَذِباً قَطّ

وكان صلى الله عليه وسلم يتحرك دعوياً بمنطق عقلي راقي ، وبحكمة متأنية عميقة ، يركز على الوسائل السلمية في الدعوة ، ويتجنب المصادمة وإعلان القتال **(كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة)**

وفي بيعة العقبة الثانية، والنفوس متحمسة بهذا اللقاء التاريخي الفريد ، يرفض طلب العباس بن عبادة بن نضلة، الميلان على أهل مِنى بالسيوف ويقول **(لا ، لم نُؤمر بذلك ، إرجعوا إلى رحالكم) .**

<u>(9) المصداقية</u> :

وهذه مقدمه تفرزها الروحانية المتعلق بها الداعية إلى الله تعالى ، لاسيما وهو يأوي إلى ركن شديد ، حلاّه بحلية القرآن، وأورثه أعظم ميراث داخله، يدعو الناس إليه بكل عزة وثقه واطمئنان . فهذا الكتاب العزيز ، لايزال محور التحدي والإعجاز من حين نزوله إلى يوم القيامة ، ولم يستطع مخلوق أن يناقضه فضلا عن الإتيان بشىء من مثله لا في موضوعاته أو أفكاره أو تشريعاته أو آدابه ولغته وبلاغته ، كما قال تعالى :
(لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت

وقال تعالى : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) **النساء**

فهو نص حق صادق مبين ، وجاء به من اتصف بصدق الحديث ، ومكارم الأخلاق، وعرف في العصر الجاهلي (**بالصادق الأمين**) ، كل ذلك يستدعينا إلى وعي هذه المقدمة التغييرية ، وهي (المصداقية) التي تكتنف الداعية من ناحيتين:

الأولى : رسالته النورانية المتمثلة في القرآن والسنة .

والثانية : الروحانية التي تبعث في نفسه ، الصدق والإخلاص والحب والإصرار.

وكلما كان الداعية صادقا في حمله لفكرته ، وفي حسن أدائها ، والتضحية لأجلها كان عطاؤه مثمراً ، وجهوده ناجحة ، ولن يخيب الله صادقاً استعصم به ، ولاذ بدينه وشرعه .

وهذه المصداقية النبوية ، لم يستطع كبار رجالات مكة إنكارها إلا بدافع الحسد ، وفقدان المجد والشرف ، كما قالها أبو جهل بن هشام المخزومي في خبره المشهور مغ المغيرة بن شعبة ، وكيف أنه كان يسمع القرآن خفية ، مبهوراً بحسه وحسنه

فقال لمغيرة لما سأله: فوالله إني لأعلم ان ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا فينا الحجابة فقلنا نعم، فقالوا فينا الندوة فقلنا نعم، فقالوا فينا اللواء فقلنا نعم، قالوا فينا السقاية فقلنا نعم ثم اطعموا فأطعمنا حتى اذا تحاكت الركب، قالوا منا نبي والله لا أفعل. !!!

<u>(10) الجاذبية</u> :

وهي عناصر مركوزة في الدعوة الإسلامية من خلال مايلي :

أولاً : نورانية الوحيين وجمال موضوعاتهما.

ثانياً : سحر حسن الخلق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكده للمسلم فكيف بالداعي المربي

والمصلح المستنقذ ، قال صلى الله عليه **وسلم (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه أحمد والترمذي ومالك . وقال كما عند أبي داود (إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)** وتجلّت أخلاقه ، واقعاً عليه الصلاة والسلام ، في تعاملاته مع أصحابه والعمال والخدم والجفاة والأطفال والمشركين ، وكيف انه كان **(السمح السهل)** ذا الخلــق **العظيم (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)**
وقال (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاًّ غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)
فرحمة الداعية وإشفاقه على الناس ، ستجعل لخطابه تأثيراً وجاذبية في أذهان الخلق ، مما يعني عقد ميثاق التغيير الأولي ، ويزيد على ذلك حسن منطق الداعية وفصاحته، وقوة حجته وإقناعه التي يؤتيها الله من شاء من عباده ، وللتمثيل على نورانية الوحيين ما حصل من تأثر (عتبه بن ربيعة) لما استمع صدر(سورة فصلت) من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

مَمْنُونٍ (8) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ..

تغير وجهه ، وانخلعت روحه ، وانبهر حاله، من وقع ماسمع من الآيات البيانات ، والبراهين الناصعات ، التي توحي صراحة ً بنبوة محمد ، وبعظمة ماجاء به من نور وبيان ، حتى قال مشركو مكة لما عاد **لهم (لقد جاءكم عقبة بغير الوجه الذي راح به) وقالوا لما نصحهم وحذرهم (لقد سحرك يا أبا الوليد) !!**

<u>(11) الدائبية</u> :

المتمثلة في شحذ القوة الجسمانية ، المتفاعلة مع ماتحمله روحاً وعطاءً، إذ هي نفسية عاملة جادة ، لاتعرف الكسل ولا تستسلم للملل ، وتدفع كل ذلك بالمحبة الصادقة ، والعمل الدائب ، وهذه الدائبية تأخذ أشكالاً شتى منها :

1) درس أسبوعي عام .
2) تفقيه للنخبة والخواص.
3) منبر جمعة وهاج.
4) تأليفات معينة ، وبيانات علمية واضحة .
5) خدمات خبرية وإصلاحات اجتماعية .
6) أرضية الكترونية حثيثة .

وليس بالضرورة حيازة الداعية المصلح لكل ذلك ، وإنما يصيب ما يستطيع منها ، ويتفنن في الجهد الذي يستطيعه ويبلغه الله فنه وإتقانه .

(قد علم كل اناس مشربهم) (البقرة)

وكما قال موسى (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً) (الشعراء)

والمقصد أن يخدم الداعية الجهة التي يتناولها ويظهر فيها جده وإتقانه ، بحيث يجعلها همه ليلاً ونهاراً ، وحضراً وسفراً ، كما قال نوح عليه السلام
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً(6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً) سورة نوح
هذا هو الجهد الدائب ، والهم الإصلاحي المتفرد ، الذي يتنوع ويتفنن، ولا يمل ولا يعرف الكسل والضجر ، وهكذا كان رسولنا أجود الناس ، يعلم صحابته ، ويطعم المساكين ويخدم السائلين ، ويغشى منازل القرشيين، ويلتقي الحجيج دون كلل أو ملل ، ولما أوذي منهم صبر وقاوم ، وعاود الدعوة مرة أخرى ، وانطلق إلى الطائف بكل همة ومضاء ، ولم يتطرق إليه الكسل أبداً!!

(12) الاجتماعية :

وهي معنى زائد على الروحانية الذاتية ، يقوم على حب الإحسان للآخرين ، وخدمتهم ودعم قضاياهم ، وهو ما جسدته خديجة رضي الله عنها في قصة بدء الوحي التي في صحيح البخاري **(كلا والله لايخزيك الله ابدا ، إنك لتصل الرحم ، وتَحمِلُ الكَل ، وتكسب المعدوم، وتَقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق**) فهذه غالبها جوانب اجتماعية إحسانية ، أو(**خدماتية**) بالتعبير المعاصر ، ومن شأنها أن تحدث أثرا في حياة الناس والمخدومين ، ويكون للطرح الجديد وقع معين في نفوسهم يحتويهم ، ويعدهم أنصارا ورجالات تستقوي بهم الدعوة الإسلامية ، والحركة الإصلاحية.
ومن هذا المنطلق نحن ضد انزواء الداعية والمصلح ، واكتفائه بالتأليف وإصدار الفتاوي والبيانات من خلال مكتبة أو موقعه الألكتروني بل لابد أن تكون له لمسات إجتماعية ، وتحركات خيرية ، تدفع بدعوته لأرقى الأماكن ، ونشر كلمة الحق في كل صقع وقطر .
وقد ارتسم صلى الله عليه وسلم هذا المنهج في مكة والمدينة ، ولم يتركه أبداً الآباد لإدراكه لأهميته في تجسيد سخاوة الداعية والمصلح ، ولذلك أعطى وجهاء العرب وأعيانهم غنائم حُنين ، وكان هو أفقر الناس وأزهدهم عنها ، بل سماها (لُعاعة) وبعث من خلال

تلك الصنائع المعروفية والهبات النبوية ، ماصرح به أحد الأعراب (**أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لم يخش الفقر**)!!

(13) الواقعية :

وهي أن ينطلق الداعية حسب المعطيات الواقعية أمامه ، وبحاول أن يتكيف معها ، ويستفيد من مخرجاتها ، ولا يتجاوز معوقاتها بطريقة حدية ، أو تخيلية ، بل لا بد من مرونة ، ووعي ، وتدرج في الطرح والممارسات **ويمكن أن نلخص الواقعية النبوية من خلال مايلي :**

(1) إنسابية الشريعة مع وضعية الناس ، وقدراتهم ، وعقولهم ، بحيث لاتشقهم ولا ترهقهم ، فكلا يكاد أحد يسمع عن الإسلام ، او يعاين قضاياه إلا ويؤمن بيسره وسهولته ،

(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ)(البقرة)

(2) معايشة رسول الله لكل ذلك الواقع بكل مصاعبه وتحدياته ومساوئه ومحاسنه مراعياً تفاوت الناس في ذلك ، وحرصهم الدنيوي على الجاه والمال والغلبة.

(3) إن الدعوة كانت عملية إستنقاذية للناس من واقع مظلم وزائغ ومفتئت على حقوق الفقراء والمساكين ، فجاء رسول الله لحل مثل ذلك، ونشر قيم العدل والرحمة والمساواة بين الناس (وما أرسلنا إلا رحمة للعالمين) سورة الانبياء

ولذلك كان أكثر المتابعين له من الفقراء وضعفه الناس ، وهم من قال فيهم هرقل عظيم الروم (وهم أتباع الرسل) في حواره التاريخي الممتع مع أبي سفيان كما في الصحيحين .

وفي القرآن قال قوم نوح (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) سورة هود

(4) بشرية رسول الله المتصفة بكل صفات البشر ، من سعد وحزن ، وصبر وضجر وجوع وشبع ورزايا تنتابه ، ومصالح تؤخره ، كما لاقى الأنبياء قبله

(ولْنَصْبرنّ عَلَى ما آذيتمُونا) (ابراهيم)

وقال له ربه تعالى : (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) النحل

(14) الاصطفائية :

وهي شكل من المناصحة المخصوصة ، أو الدعوة الفردية ، بحيث يصفّي الداعية ، مجتمعه وثلته التي يعايشها ، ويتخذ منها الأخلة الصادقين والرُفقة الجادين ، وييستشير ويخاللل ويستعين من يثق بدينه ، وحسن صبره **وجلده (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي**)

وكثيراً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا أبو بكر وعمر)

وقد قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم في بيان أثر الصديق والخليل (**المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل)**

وهذه الاصطفائية تحتاج إلى عقل راجح ، وصفات روحية عالية ، وأخلاقية اجتماعية ، وقد تقدمت إشارات واضحات في ذلك .

وهذه الاصطفائية هي نواة التنظيم الفاعل ، والتطور المجتمعي القائم على وعي المسئولية ، والاضطلاع بالمهام، ونيابة القائد ، وتدبير الأمور ، وحل المشاكل والمعوقات ، وأظن أن كل داعية مفكر ، سيهتم بذلك كثيراً كما هي كانت قضية بارزة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد احتوى فضلاء الناس ، وخالطه صفوة الخلق من أمثال أبي بكر وعمر وخديجة وعثمان وعلي وطلحة والزبير والسعدين وأسعد بن بزارة ومصعب واشباهم من الأصفياء الخلص والعاملين الفاعلين ، الذين بانت أدوارهم في الرحلة الدعوية .

وبعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسابقين الأولين ، والمهاجرة ، الأوائل ، وسادات الأنصار كان فيهم من الصفات التأثيرية ، والفاعلية الدعوية ، مايدل على حكمة الاختيار النبوي ، وأنهم رجال المستقبل ، وحملة مشاعل الدعوة ، فمثلاً أبو بكر رضي الله عنه كان رجلاً خلوقاً ، تاجراً ، كريماً ، وجيها بين الناس ، واختياره سينتج للدعوة ، وهو ماحصل حيث أسلم على يديه سادات الصحابة كعثمان وطلحة والزبير ، وبذل ماله كله في سبيل الله

(15) الارتحال :

وهي الانتقال من بلد إلى بلد آخر ، بسبب الظروف التاريخية الواقعة ، والتي يشعر الداعية من خلالها بانسداد الأفق ، وتعسر الوسائل ، فيلتمس مخرجاً ، ومكاناً فسيحاً لدعوته الجديدة ...وتعرف بالهجرة والسفر.

وهذا اسلوب ، يأتي متأخراً غالباً في نشر الدعوات والأفكار، لأن عز الإنسان بلده ،والمكان الذي يعرفه ، ويحسن مداخله ومخارجه !

ولكن الظرف التاريخي ، والعامل الإضطهادي، يجبر الإنسان على المفارقة والسفر وترك الديار ، والأحباب ، كما قال صلى الله عليه وسلم وهو خارج من مكة **(والله إنك لأحب البقاع إلى الله ، ولولا أن قومَكِ أخرجوني ماخرجت)**

ولقد استعمل رسول الله الهجرة مرتين الى الحبشة عندما قال لصحابته **(إن فيها ملكاً لايُظلم عنده أحد**) وهاجروا مرتين وكانت لهم خير مقام في أطيب عيش وجوار.

ثم أذن مرة أخرى المدينة ، عندما سُدت عليهم السبل ، وأحس بالخطر المحدق به وبصحابته ، فرأوا أن الفرصة مواتية ، لتأسيس منطقة جديدة للدعوة ، هي (المدينة المنورة) وكان قد أرسل (**مصعب بن عمير**) رضي الله عنه قبله، يوطد المكان ويؤسس النواة ، حتى شاع الإسلام في كل أرجاء المدينة ، ولم يأت رسول الله وإلا كانوا يخرجون كل صباح ينتظرون ، حتى تشتد الظهيرة ، شوقاً وتلهفاً لمنظره ودينه الجديد، السمح الذي به عزهم وسعادتهم .

(16) المناظرة :

ونعني بها هنا النقد الفكري الموجه ، للأفكار والعقائد المجتمعية الخاطئة ، وركناها العلم وقوة الحجة ، والقدرة على تفنيد الشبهات ، وهذه سمات جوهرية للداعية والمصلح الاجتماعي ، وقد كانت مكتملة في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث نسف العقائد الوثنية ، وسفه أحلام المشركين واستهجن ، كيف تُصرف العبادة لله وحده .

(**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**) وهو منهج أنبيائي قديم

(قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) سورة هود

ولم تكن في مكة ثلاث عشرة سنة تشريعات كثيرة ، بل كان التركيز الدعوي على جوانب **(التوحيد والعقيدة)** ، وكل آيات القرآن المكي تقرر ذلك استدلالا وتقريرا وبرهانا ، وتفضح عوار

العقلية الوثنية التي تتخذ آلهة من دون الله ، وتجحد البعث رغم بروز الآيات الدالة على ذلك ، كإحياء الأرض الميتة بالأمطار ، قال تعالى :

(**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9)**) فاطر ،وقال :

(أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) سورة ق.

ولما جاء المشرك أبي بن خلف لرسول الله بعظام بالية ، وفتّه أمام رسول الله قال: يامحمد هل يستطيع ربك أن يعيد تلك العظام البالية ؟ قال **: (نعم يعيدها ، ويدخلك النار)** وأنزل الله ردا على حجته تلك

قوله **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ(81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)**

إلى آخر الآيات المقررات لقدرة الله ، وحصول البعث في اليوم الآخر دون شك ولا ارتياب.

لم تصمد دعاوي المشركين ولا عقائدهم أمام البرهان القرآني والواقعي والعقلي بل تهاوت جميعها، وأسلم منهم من أسلم حين تفكر في النور الجديد واعمل عقله في تلك العقائد التافهة، التي لا أصل لها سوى محض التقليد .

(َبلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) الزخرف

وهي دعوى قديمة ، مارسها الملأ الأولون مع **أنبيائهم (قالوا بل وجدنا آباءنا لها عابدون**) فهي هياكل جامدة، لاتحس ولا تتحرك ، لاتتأثر ولا تتكلم!! بل قال العربي الأول بمحض فطرته لما بال الثعلب على الغنم :

أربٌ يبول الثعلبان برأسهٍ

لقد ذلّ من بالت عليه الثعالبُ ؟ !

فهذه العقائد الشركية من الناحية العقلية لاتعتمد على المواجهة ، ولا يؤيدها الواقع وتصطتدم مع الفطرة، فلماذا يأوي إليها الناس ؟ !

ولابد في الدرس الدعوي من اعتبار أسلوب المناظرة ، وتدريسه لناشئة الدعاة لأنه يوحي بصلابة الحق ، وقدرة المناظر على المواجهة مع كافة المعارضين ، وكل من يتخوف المناظرة في الغالب ، يكون منقوصاً أمام الجماهير ، ويزعزع ثقته في نفسه ، واطمئنان الناس إليه ، وقد قال تعالى لرسوله عليه الصلاة **والسلام (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)**

أي بالعلم وحسن الترفق والعرض ، فهو أسلوب دعوي قوي التأثير ، وتكمن قوته في كونه سريع الانتشار ، ويستقطب الجماهير ، ويعلي من الحق المنتصر ، ويوهن الأطراف المخالفة ، ويحدث الاقتناع المجتمعي .

(17) **<u>التدرجية :</u>**

وهذا فرع الحكمة والعقلانية ، حيث لا يمكن نثر كل البضاعة في وقت واحد ، ولا مطالبة الناس فوق طاقاتهم ، أو بكل شىء ، أو بالوثبة السريعة !!

بل لابد من تأنٍ وتؤده ، وتدرج واتزان ، فيعزف الداعية على قضية واحدة، كالتوحيد مثلاً ، وهي أصل الاستقامة الإنسانية ، كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اكتفى بالإصلاح العقدي فى مكة , وترفق بالناس , ومنعهم من المواجهة , وتريث فى سن الشرائع , وتوالي الأوامر والنواهى .

بل كان يسير على معراج متدرج بحيث يأسر الناس بدعوتة , ويجعل لهم مساحة فى التفكير والقبول , إذ إن المجتمع الجاهلي منحرف عقائدياً، ولديه قيم جاهلية فاسدة، فلا يمكن زحزحة ذلك

إلا بفن دعوي متدرج , يركز أولا على العقيدة ، ويعتمد الحجة والعقل بالبرهان الواضح , ويأخذ الناس على فترات وفترات , ويعالج القضايا الجوهرية والمنكرات الكبرى أولاً , ثم يأتى إلى غيرها وما يليها , وإذا **تأملنا (القرآن المكي)** أى النازل فى مكة قبل الهجرة , وجدنا أنه كان يركز كثيراً على قضايا التوحيد , والعقيدة , واليوم الآخر , فيعلن استحقاق الباري تعالى للعبادة , ويثبت الساعة والبعث , وصفات الجنة والنار , ووجوب الإعداد لها , ويزدرى الأصنام والمعبودات المتخذة من دون الله تعالى , وأنها عديمة الجدوى والأثر

ويجلي صفات البارى وأسماءه الحسنى , ويذكر أخبار المكذبين من الأمم السابقة , وما انتهى إليه أمرهم من التدمير والفناء , (**فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم**)

وقال **: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)**

(18) <u>الثبوتية</u> :

وهى حالة من الرفض المستعصي , والاستمساك التام بمبادئ الدعوة وثوابت الرسالة .

قال تعالى : **(فاستمسِكْ بالذى أُوحى إليكَ إنَكَ عَلىَ صِراط مُستَقيم**) ولذلك سووم رسول الله بالمال والجاه , والنفوذ والإغراء , فأبى وأصر على الدعوة والإصلاح وتبليغ رسالة الله تعالى .

قال تعالى فى مدح المؤمنين الصادقين :

(وَماَ بدَّلوا تَبْدِيلاً) الاحزاب

نحا القرشيون والوثنيون مع الدين الجديد كل المناحي , وبذلوا له أنفس ملاذهم ولكنها اصطدمت بالنفسية النبوية المحمدية الشامخة , التى استعصمت بذكر الله , وأبت كل الإغراءات , راضية بفضل الله ورحمتة .

إن مثل هذه الثبوتية النبوية كالعقدة المغروزة فى صدور المشركين , تجعلهم يستشعرون الهزيمة , ويحسون بالحقيقة , ويفقدون صبرهم تجاه الدعوة الجديدة لأنها تحد واضح مكشوف , تؤكد صدقية رسول الله ومحبتة لربه تعالى , وإيثاره لدعوتة , واحتماله لأجلها كل الشدائد والأرزاء ..

ولذلك شدوا عليه وآذوه , ثم حاصروه , ظنوا أنهم بلغوا منه , فما ازداد إلا قوة وصلابة , وأدركوا أنه سيظهر وينتصر ولكنهم كابروا وعاندوا ...

(**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)** فالثبات على المبدأ أو الفكرة من الركائز والمحطات الأولى فى حياة الداعية عليه أن يتعلمه من فلسفة الدعوة ومساراتها , ويتعظ بما حكاه الله تعالى عن الثابتين

(وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ، هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً)

ويسأل الله دائماً الثبات وعدم الزيغ والتبديل .

(ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) الاسراء

وكان صلى الله علية وسلم كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء العظيم :

(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك)

وصح عنه قوله صلى الله علية وسلم :

(**اللهم يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلبي على طاعتك)**

بمثل هذا التزود الإيمانى , والفقه الاعتبارى لسير المصلحين , تثبت المسالك إلى الله حتى يظهره الله تعالى عليهم .

قال تعالى : **(ولا تستعجل لهم)**

وفى صحيح البخارى حديث خباب رضى الله عنه الذى يشع بكل معاني الثبات , والصبر , والثقة بوعد الله , والتحدى للأعداء.

كما قال : **(والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخاف إلا الله , والذئب على غنمه , ولكنكم تستعجلون**)

والثبوتية إنما ترتكز على الإيمان والصبر الذى يحملها على محبة الله , وتجاوز الصعاب , والتلذذ بالمرارات فى سبيل الدعوة

(وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)

(19) اليقينية :

هــى روح مفعمة بالإيمان , والثقة بالله وبنصره ووعده كما قال : **(كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز)**
وقال عز وجل : (وكان حقاً نصر المؤمنين)
وقال تعالى : (فاصبر إن وعد الله حق)
فمهما اشتد البلاء , وتفتقت الدنيا عن كروب واضطهادات ومستقبل أسود , فإن إيمان الداعية لايتناقص, ويقينه لايبلى , وصبره لا ينفد , بل ماتزيدة تلك الكروب الا يقيناً إضافياً بدنو ساعة الحسم , واقتراب فجر الظهور والتمكين .
قال تعالى (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ) سورة يوسف
وكانت عائشة رضى الله عنها تفسر هذه الآية على أتباع الرسل , وليس الرسل أنفسهم، وتنزههم أن يقعوا فى منزلق كهذا كما فى صحيح البخارى من طريق ابن شهاب،قال **أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة قالت له وهو يسألها عن قول الله: { حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ } قال: قلت: أكُذِبوا أم كُذِّبوا؟ فقالت عائشة: كُذِّبوا. فقلت: فقد استيقنوا أن قومهم قد كَذَّبوهم فما هو بالظن؟ قالت: أجل، لعمري لقد استيقنوا بذلك. فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قالت معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها. قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر.**
وقال تعالى : (... وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) وقد

انتصر لمذهب عائشة شيخ المفسرين ابن جرير رحمه الله، وفي الآية وجوه أخرى.

فهذه الآية تجلي السابقة , والمراد شدة الوقع على الداعية , إلى درجة تذمر الأتباع , واستبطاء النصر , وليس أن الدعاة يشكون فى وعد الله , وأن العاقبة للمتقين , والدائرة على الكافرين ...كلا !! بل إنهم أكمل الناس يقيناً , وأعلاهم استياقاً , وكذلك يجب أن يكون أتباعهم , يشهد لذلك ويقرره حديث خباب في صحيح البخارى لما شكوا إلى رسول الله شدة ما يلاقونة من البلاء , قال لهم :

(لقد كان الرجل فمن كان قبلكم يؤتى به فيحفر له , ثم يؤتى بالمنشار , فيشق من رأسه إلى أسفله , ويمشط بأمشاط الحديد , مادون عظمه من لحم وعصب ما يصده ذلك عن دينه , والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت , لا يخاف إلا الله , والذئب على غنمه , ولكنكم تستعجلون) فالمسألة سنن يجريها الله فى الأرض , ويمحص بها العباد , وينقي بها الصف إلى أن يبلغ العلم مداه , فتأتى مرحلة النصر والفرج والفتح المجيد .

وفى هذا النص الحكيم ذم الاستعجال , وانه ليس من ديدن الدعاة إلى الله , وقد يورث النقص والضعف , وترك العمل , والله الموفق .

ومن شأن الروح اليقينية , أن تصنع المستقبل , وتتلذذ بالتفاؤل , وتندحر عنها كل صور اليأس والإحباط , ولا تخالجها الهزيمة .

وإذا وعى الداعية هذه المقدمة راجع نفسه , وجرد إيمانه ، وتحلى بالصبر , وكان ذا زاد روحي متين , يمكنه من تخطي العراقيل , وكسر السيف الصقيل , وهزيمة القمع الوبيل , والله ينصر من يشاء , وهو العزيز الرحيم .

(20) **العدالـــة :**

وهى محتوى مضمون الرسالة المحمدية , حيث جاءت لإحقاق العدل , وردع الظلم والانتصار للمظلومين , وإطعام الجائعين المحرومين , وجعل الناس سواسية محكومين بنظام رباني , لايفرق بين كبير أوصغير , ولا شريف أو وضيع , او رئيس ومرءوس، وهذه بُغية أتباع الرسل , الذين غلب عليهم الضعف والمسكنة , كما **قد جاء فى صحيح البخارى من حديث**

هرقل (قال : من يتبعه ضعفاء الناس أم أشرفهم , فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم ! فقال : وهم أتباع الرسل) ولذلك مقصد الفقيــر والضعيف , والمظلوم أن يحيا حياة كريمة , ينعم من خلالها بالحقوق , ولا يظلم ولا يؤكل عرقه , ولا يستغل ضعفه وهوانه .

قال تعالى : (واذا حَكمتمْ بينَ الناَسِ أنْ تَحْكُموا بالْعدلِ) الانعام

وقال (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحديد

وقال تعالى : (إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات

وفيما صح عنه صلى الله علية وسلم :

(أُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) كما في الصحيحين

وقوله : (كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى) اخرجه احمد وسنده حسن.

ومثل هذه المبادئ الشرعية العدلية , والحقوقية، كافية فى انجذاب الناس إلى هذا الدين الجديد , والإعجاب بشرائعه , والدخول فيه .فالمفاضلة فى الإسلام بالدين والتقوى وليس بالحسب ولا النسب , ولا بالمال والجاه , ولا بالعرق واللون!!

ولهذا حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق الناس , ورحم الفقراء، وآوى الأيتام , وخدم الموالي، وأنصف النساء , وداعب الأطفال , وأقام العدالة بين الناس , حتى اكتسب حبهم وولاءهم , وانتشر دينة فى الآفاق , وعرفوه فى الجاهلية , بالعدل والأمانة وصدق المبدأ وذم الكذب ، والجود وبذل النفس والجاه ، يهتم بمخابر الناس ، لا بظهورهم ، يحفظ الجميل ، ويثيب عليه ، وينجز الموعد ، ويصل الرحم، ويتواضع للخلائق . وكان نائبه وصاحبه على الدوام أبا بكر رضي الله عنه التيمي ليس من بطون قريش المشاهير ، وجعل مؤذنه بلالاً رضي الله عنه ، وهو حبشي وقال فيه (**إني سمعت دفَ نعليك في الجنة) وهو الذي قال فيه عمر رضي الله عنه (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) !!**

واستعمل أسامه بن زيد على جيش فيه أبو بكر وعمر ، لما رأى من كفاءته ومقدرته ومايؤهله لذلك وقال **(إن تطعنوا في إمرته ، فقد طعنتم في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا للإمرة)** !!

تم مايراد تعليقه هنا حول (مقدمات التغيير النبوي) سائلاً المولى الكريم حسن الفهم وصحة القصد وجميل العاقبة ، إنه هو البر الرحيم .
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .